

نظام الحكم في الإسلام

جعفر سبحاني



نظام الحكم فى الاسلام

كاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

نظام الحكم فى الاسلام

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۴۸

عنوان و نام پدیدآور : نظام الحکم فی الاسلام تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق علیه‌السلام ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲.

مشخصات ظاهری : ص ۹۴

فروست : (سلسله المباحث العقائدیه۹)

شابک : ۹۶۴-۳۵۷-۱۰۳-۳

یادداشت : عربی

موضوع : اسلام و دولت شناسه افزوده : موسسه امام صادق علیه‌السلام رده بندی کنگره : BP۲۳۱/س۲ن۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۸۳۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۲-۵۷۰۷

مقدّمة المؤلف

مقدّمـة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه الذى حسـرت عن معرفة كماله، عقول الأولياء، وعجزت عن إدراك حقيقته، أفهام العلماء، واحد لا شـريك له، لا يُشـبهه شـىء لا فى الأرض ولا فى السـماء ;والصـلاة والسـلام على نبيّه الخاتم، أفضل خلائقه وأشرف سفرائه، وعلى آله البررة الأصفياء، والأئمّة الأتقياء. أمّا بعد فغير خفىّ على النابه انّ للعقيدة ـ على وجه الإطلاق ـ دوراً فى حياة الإنسان أيسره انّ سلوكَه وليدُ عقيدته ونتاج تفكيره، فالمواقف التى يتّخذها تمليها عليه عقيدتُه، والمسير الذى يسير عليه، توحيه إليه فكرته. إنّ سلوك الإنسان الذى يؤمن بإله حىّ قادر عليم، يرى ما يفعله، ويحصى عليه ما يصدر عنه من صغيرة وكبيرة، يختلف تماماً عن سلوك من يعتقد أنّه سيّد نفسه وسيّد الكون (۶)

الـذى يعيش فيه، لا ـ يرى لنفسه رقيباً ولا حسـيباً. ومن هنا يتّضـح أنّ العقيـدة هى ركيزة الحياة، وأنّ التكاليف والفرائض التى نعبّر عنها بالشـريعة بنـاء عليهـا، فالعقيـدة ترتبـط ارتباطـاً وثيقـاً بالروح والعقل، فى حين ترتبط الشـريعة والأحكام بألوان السـلوك والممارسات. ولأجل هذه الغاية قُمنا بنشر رسائل موجزة عن جوانب من العقيدة الإسلامية، وركّزنا على أبرز النقاط التى يحتدم فيها النقاش. وبما أنّ لكلّ علم لغته، فقد آثرنا اللغة السـهلة، واخترنا فى مادة البحث ما قام عليه دليل واضح من الكتاب والسنّة، وأيّده العقل الصريح ـ الذى به عرفنا اللّه سبحانه وأنبياءه ورسله ـ حتّى يكون أوقع فى النفوس، وأقطع لعذر المخالف. جعفر السبحانى قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السَّلام

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل الحكومة حاجة ملحَّة إنّ وجود الدولة فى الحياة البشـرية ليس أمراً تقتضـيه الحياة المعاصرة التى اشتدت فيها الحاجة إلى الحكومـة، بل هى حاجة طبيعية ضـرورية للإنسان الاجتماعى عبر القرون. فإذاً الدولة حاجة طبيعية تقتضـيها الفطرة الإنسانية بحيث يُعدّ الخـارج على الدولـة ونظامهـا وتـدبيرها: إمّيا متوحشـاً ساقطـاً، أو موجـوداً يفوق الموجود الإنسـانى. انّ اسـتعراض مـا قـام به البـاحثون

والمفكّرون من تبيين ضرورة الحكومة فى المجتمع الإنسانى، وانّه لولاها لانهارت الحياة وانفصمت عقد الاجتماع وعادت الفوضى إلى المجتمع الإنسانى، ممّا لا تسعه هذه الرسالة ولنتركها لمحلها. (۸) ولكن المهم لنا هو تبيين سيرة الرسول فى تأسيس الحكومة الإسلامية بعدما استّتب له الأمر، وهو يعرب عن أنّ الحكومة تعد بنى تحتيّة لإجراء عامّة الأحكام الإسلامية، وانّه لولاها لتعطلت الأحكام، وتوقّف إجراء الحدود والتعزيرات، وبالتالى سادت الفوضى على الحياة، فلذلك نقتصر فى المقام على بيان سيرة الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعد نزوله المدينة المنورة فنقول: من تتبع سيرة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يقف على أنّه قام بتأسيس الدولة بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، فقد مارس ما هو شأن الحاكم السياسى من تشكيل جيش منظم، وعقد معاهدات ومواثيق مع الطوائف الأُخرى، وتنظيم الشؤون الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية ممّا يتطلّبه أى مجتمع منظم ذو طابع قانونى، وصفة رسمية، وصيغة سياسية، واتخاذ مركز للقضاء وإدارة الأُمور وهو المسجد، وتعيين مسؤوليات إدارية، وتوجيه رسائل إلى الملوك والأُمراء فى الجزيرة العربية وخارجها، وتسيير الجيوش والسرايا وبذلك يكون الرسول الأعظم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أوّل مؤسس للدولة الإسلامية التى استمرت من (۹)

بعده، واتسعت وتطورت وتبلورت، واتخذت صوراً أكثر تكاملاً ـ فى التشكيلات والمؤسسات وإن كانت الأُسس متكاملة فى زمن المؤسس الأوّل ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ . ومن ملامح تأسيس حكومته قيامه بأُمور تعد من صميم العمل السياسى والنشاط الإدارى الحكومى، نذكر من باب المثال لا الحصر: ۱. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ عقد بين أصحابه وبين الطوائف والقبائل الأُخرى المتواجدة فى المدينة كاليهود وغيرهم اتفاقية وميثاقاً يعتبر فى الحقيقة أوّل دستور للحكومة الإسلامية. ۲. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ جهز الجيوش وبعث السرايا إلى مختلف المناطق فى الجزيرة، وقاتل المشركين وغزاهم، وقاتل الروم، وقام بمناورات عسكرية لارهاب الخصوم، وقد ذكر المؤرخون أنّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ خاض أو قاد خلال ۱۰ أعوام من حياته المدنية ۸۵ حرباً بين غزوة وسريّة. ۳. بعد ان استّتب له الأمر فى المدينة وما حولها وأمن جانب مكة وطرد اليهود لتآمرهم ضد الإسلام والمسلمين من (۱۰)

المدينة وما حولها وقلع جذورهم، توجه باهتمام خاص إلى خارج الجزيرة، وإلى المناطق التى لم تصل إليها دعوته ودولته من مناطق الجزيرة، فراح يراسل الملوك والأُمراء ويدعوهم إلى الانضواء تحت راية الإسلام والدخول تحت ظل دولته والقبول بحكومته الإلهية. ۴. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعث السفراء والمندوبين السياسيين إلى الملوك والزعماء وكان عملاً بديعاً من أعمال الدبلوماسية، وهذه الدبلوماسية الفطنة التى لجأ إليها النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فى مخاطبة الملوك فى عصره لم تذهب كلّها سدى. ۵. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ نصب القضاة وعيّن الولاة، وأعطاهم برامج للإدارة والسياسة، فأوصاهم فيما أوصاهم بتعليم أحكام الإسلام ونشر الأخلاق والآداب التى جاء بها الإسلام، وتعليم القرآن الكريم، وجباية الضرائب الإسلامية كالزكاة وإنفاقها على الفقراء والمعوزين، وما شابه ذلك من المصالح العامة، وفصل الخصومات بين الناس، وحلّ مشاكلهم) والقضاء على الظلم والطغيان، وغير ذلك من المهام (۱۱)

والصلاحيات والمسؤوليات الإدارية والاجتماعية. ۶. انّ من قرأ سورة الأنفال والتوبة ومحمّد ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يلاحظ كيف يرسم القرآن فيها الخطوط العريضة لسياسة الحكومة الإسلامية وبرامجها ووظائفها. فهى تشير إلى مقومات الحكومة الإسلامية المالية، وأُسس التعامل مع الجماعات غير الإسلامية، ومبادئ الجهاد والدفاع وبرامجها، وتعاليم فى الوحدة الإسلامية التى تعتبر أقوى دعامة للحكومة الإسلامية، وكذا غيرها من السور والآيات القرآنية فهى مشحونة بالتعاليم والبرامج اللازمة للحكومة والدولة. وهذا يكشف عن أنّ النبىّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ كان أوّل مؤسس للحكومة الإسلامية فى المدينة المنورة بعد أن مهّد لها فى مكة. إنّ من سبر الأحكام الإسلامية من العبادات إلى المعاملات إلى الإيقاعات والسياسات، يقف على أنّها بطبعها تقتضى إقامة حكومة عادلة واعية لإجراء كلّ ما جاء به النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ، وانّه لولاها لأصبحت تلك القوانين حبراً على ورق من دون أن تظهر

فی المجتمع آثارها، فانّ الإسلام لیس (۱۲)

مجرّد أدعیهٔ خاویهٔ أو طقوس ومراسیم فردیهٔ یقوم بها کلّ فرد فی بیئته ومعبده، بل هو نظام سیاسی ومالی وحقوقی واجتماعی واقتصادی واسع وشامل، وما ورد فی هذه المجالات من قوانین أو أحکام، تدلّ بصمیم ذاتها علی أنّ مشرّعها افترضَ وجودَ حاکم یقوم بتنفیذها ورعایتها، لأنّه لیس من المعقول سنّ مثل هذه القوانین دون وجود قوهٔ مجریهٔ وسلطهٔ تنفیذیهٔ تتعهد بإجرائها وتتولّی تطبیقها مع العلم بأنّ سنّ القوانین وحده لا یکفی فی تنظیم المجتمعات، وإلی هذا الدلیل یشیر السید المرتضی بقوله: إنّه سبحانه وتعالی یأمرنا بالاستجابهٔ للّه وللرسول إذا دعا لما فیه حیاتنا، یقول سبحانه: (یا أَیُّها الَّذینَ آمَنُوا استَجیبُوا للّه وَلِلرَّسُولِ إِذا دعاکُمْ لِما یُحییکُمْ).(۱) وفسّرت الآیهٔ بالأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، فإذا کان الأمر والنهی کما تُوحی هذه الآیات مبدأ للحیاهٔ وجب أن یکون للناس إمام یقوم بأمرهم ونهیهم ویقیم فیهم الحدود، ______________

۱–الأنفال:۲۴. (۱۳)

ویجاهد فیهم العدو، ویقسم الغنائم، ویفرض الفرائض ویحذِّرهم عمّا فیه مضارهم، ولهذا کان الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر من أسباب بقاء الخلق فوجبا، وإلّا سقطت الرغبهٔ والرهبهٔ ولم یرتدع أحد، ولفسد التدبیر، أو کان ذلک سبباً لهلاک العباد.(۱) نظام الإمامهٔ والخلافهٔ فی الإسلام قد عرفت أنّ الحکومهٔ ضرورهٔ ملحهٔ ولا تحتاج إلی إقامهٔ برهان وقد وردت علی لسان الرسول وأئمّهٔ أهل البیت ـ علیهم السَّلام ـ إلماعات إلی ذلک نذکر منها ما یلی: ۱. قال النبیّ ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ : «صنفان من أُمّتی إذا صلحا صلحت أُمّتی، وإذا فسدا فسدت أُمّتی». قیل: یا رسول اللّه ومن هم؟ قال: «الفقهاء والأُمراء».(۲) ______________

۱–المحکم والمتشابه، للسید المرتضی: ۵۰.

۲–تحف العقول:۴۲. (۱۴) فالحدیث یعرب عن ضرورهٔ وجود الفقیه والأمیر فی المجتمع الإسلامی، غیر أنّ سعادته رهن کونهما مصلحین لا مفسدین. ۲.قال الإمام أمیر المؤمنین ـ علیه السَّلام ـ لمّا سمع قول الخوارج: لا حکم إلّا للّه، قال: «کلمهٔ حقّ یراد بها باطل؛ نعم انّه لا ـ حکم إلاّ ـ للّه ولکن هؤلاء یقولون لا إمرهٔ إلّا للّه، وإنّه لابدّ للناس من أمیر برّ أو فاجر یعمل فی إمرته المؤمن ویستمتع فیها الکافر، ویبلّغ اللّه فیه الآجل، ویُجمع به الفیء ویُقاتل به العدو وتأمَنُ به السبل، ویُؤخذ به للضعیف من القوی، حتّی یستریح برّ، ویُستراحَ من فاجر».(۱) ۳. وقال الإمام علی بن موسی الرضا ـ علیه السَّلام ـ فی حدیث طویل حول ضرورهٔ وجود الحکومهٔ فی الحیاهٔ البشریهٔ: «إنّا لا نجد فرقهٔ من الفرق ولا ملّهٔ من الملل بقُوا وعاشوا إلّا بقیّم ورئیس لما لابدّ لهم منه فی أمر الدین والدنیا، فلم یجز فی

____

۱–نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۴۰. (۱۵)

حکمه الحکیم أن یترک الخلقَ لما یعلم أنّه لابدّ لهم منه، ولا ـ قوام لهم إلاّ ـ به، فیقاتِلونَ به عدوّهم، ویقسّمون به فیئهم، ویقیمون به جمعتهم وجماعتهم، ویمنعُ ظالمهم من مظلومهم».(۱) ولأجل هذه الأهمیهٔ التی تحظی بها الحکومهٔ الإسلامیهٔ یتعیّن علی علماء الإسلام أن یبذلوا غایهٔ الجهد فی توضیح معالمها ومناهجها وخطوطها وخصائصها فی جمیع العصور والعهود. ______________

۱–علل الشرائع:۲۵۳. (۱۶)

الفصل الثانی

الفصل الثانی ملامح الحکومهٔ الإسلامیهٔ فی الکتاب والسنّهٔ إنّ الحاکم الإسلامی ـ فی منطق القرآن وحسب تشریعه ـ لیس مجرّد من یأخذ بزمام الجماعهٔ کیفما کان، ویأمر وینهی بما تشتهیه نفسه، ویحکم علی الناس لمجرّد السلطهٔ وشهوهٔ الحکم، بل هو ذو مسؤولیهٔ کبیرهٔ وثقیلهٔ. وبما انّ هذه الرسالهٔ لا تتسع لبیان أکثر ملامح الحکومهٔ الإسلامیهٔ نقتصر علی بعض ما ورد فی الذکر الحکیم من ملامح مقروناً ببعض الروایات، ونحیل التفصیل إلی (۱۷)

محاضراتنا.(۱) قال سبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْض أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللّهِ عاقِبَةُ الأُمور).(۲) فالمسؤوليات الملقاة على عاتق الحاكم فى الإسلام عبارة عن: ۱. إقامة الصلاة وتوثيق عرى المجتمع الإسلامى بربّه الذى فيه كلّ الخير. ۲. إيتاء الزكاة الذى فيه تنظيم اقتصاده ومعاشه. ۳. الأمر بالمعروف وإشاعة الخير والصلاح فى المجتمع. ۴. النهى عن المنكر ومكافحة كلّ ألوان الفساد والانحراف والظلم والزور. ومن المعلوم أنّ حكومة كهذه توفر للائقين والصالحين

۱-انظر كتاب معالم الحكومة الإسلامية:۳۴ـ ۴۷.

۲-الحج:۴۱. (۱۸)

وذوى القابليات والمواهب فرصاً مناسبة لإبراز مواهبهم، وتهيّئ الظروف المساعدة لتنمية استعداداتهم العلمية والفكرية فى جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتدفعها فى طريق التقدّم والازدهار. وقال رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ: «لا تصلح الإمامة إلّا لرجل فيه ثلاث خصال: وَرَع يحجزه عن معاصى اللّه وحِلْم يملك به غضبه وحسن الولاية على من يلى حتّى يكون لهم كالوالد الرحيم».(۱) وقال ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ـ فى ردّ من قال: بئس الشىء الأمارة ـ: «نعم الشىء الأمارة لمن أخذها بحلها وحقّها، وبئس الشىء الأمارة لمن أخذها بغير حقّها وحلها تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة».(۲) ـــــــــــــــــــــ

۱-الكافى:۱/۴۰۷.

۲-كتاب الأموال:۱۰. (۱۹) مسؤولية الحاكم فى النصوص الشرعية ۱. إنّ الرسول الأعظم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يتحدث عن مسؤوليته تجاه الأُمّة الإسلامية الّتى يأخذ بزمام حكمها، فيقول: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته». فالأمير الذى على الناس، راع عليهم، وهو مسؤول عنهم. والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم. وامرأة الرجل، راعية على بيت زوجها وولدها، وهى مسؤولة عنهم. «ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته».(۱) ۲. ويمكن لنا أن نستجلى ملامح الحكومة الإسلامية وصفات الحاكم الإسلامى من كلام الإمام على ـ عليه السَّلام ـ الذى يرسم لنا ما على الحاكم الإسلامى الأعلى تجاه الشعب وما على الشعب تجاه الحاكم، إذ يقول فى وضوح كامل: ـــــــــــــــــــــ

۱- كتاب الأموال للحافظ أبى عبيد سلّام بن القاسم المتوفى۲۲۵هـ ص ۱۰. (۲۰) «و أعظم ما افترض اللّه من تلك الحقوق ;حقُّ الوالى على الرّعيّة وحقُّ الرّعيّة على الوالى، فريضةً فرض اللّه سبحانه، لكلّ على كلّ، فجعلها نظاماً لأُلفتهم، وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرّعيّة إلا بصلاح الولاة، ولا يصلح الولاة إلا باستقامة الرّعيّة. فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالى حقّه وأدّى الوالى إليها حقّها، عزّ الحقُّ بينهم، وقامت مناهج الدّين، واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السُّنن، فصلح بذلك الزّمان، وطمع فى بقاء الدّولة ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرّعيّة واليها أو أجحف الوالى برعيّته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال فى الدّين، وتركت محاجُّ السُّنن، فعمل بالهوى، وعطّلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حقّ عطّل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذلُّ الأبرار، وتعزُّ الأشرار، وتعظّم تبعات اللّه عند العباد».(۱) ثمّ إنّ الإمام عليّاً ـ عليه السَّلام ـ يصرّح فى هذه الخطبة ذاتها

۱-نهج البلاغة: الخطبة۲۱۶، طبعة عبده. (۲۱)

بالحقوق المشتركة والمسؤوليات المتقابلة، إذ يقول: «أمّا بعد، فقد جعل اللّه لى عليكم حقّاً بولاية أمركم، ولكم علىّ من الحقّ مثل الذى لى عليكم». ثم يشير الإمام ـ عليه السَّلام ـ فى هذه الخطبة إلى واحدة من أنصع القوانين الإسلاميّة ;وهو قانون التسوية بين جميع أفراد الأُمّة الإسلاميّة حكّاماً ومحكومين، رؤوساء ومرؤوسين، وزراء ومستوزرين، وبذلك ينسف فكرة: أنا القانون، أو أنا فوق القانون، فيقول ـ عليه السَّلام ـ: «... الحقُّ لا يجرى لأحد إلاّ جرى عليه، ولا يجرى عليه إلاّ جرى له». وعلى هذا ;فلا تمييز ولا تفرقة بين الحاكم والمحكوم بل الجميع أمام القوانين الإسلاميّة المدنيّة والجزائيّة وغيرها سواء، وعلى الحاكم والرئيس أن يؤدّى حقوق الناس

كأىّ فرد من أفراد الأمّـهٔ العاديّين، وبذلك يدعم الإمام ما روى عن الرسول الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ إذ يقول: «النّاس أمام الحقّ سواء». ۳. كما يمكن أن نعرف طبيعهٔ الحكومهٔ الإسلامية من خطبهٔ الإمام الحسين الشهيد ـ عليه السَّلام ـ بعد نزوله بأرض كربلاء، فقال: (۲۲) «اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً فى سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح فى بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك».(۱) إنّ من أهمّ الوثائق التى ترسم لنا بوضوح معالم الحكومهٔ الإسلامية ;الوثيقهٔ التى كتبها النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ليهود يثرب بعد ما نزل المدينهٔ المنوّرهٔ، وقد رواه: ابن هشام فى سيرته(۲) ، وأبو عبيد فى كتاب «الأموال» (۳)، وابن كثير فى البدايهٔ والنهايهٔ.(۴) وهى وثيقهٔ تاريخيهٔ مفصّلهٔ، فمن أراد فليرجع إلى محالّه. فالحاكم الإسلامى فى الحقيقهٔ هو الحافظ لمصالح الشعب، وهو كالأب الحنون لعامّهٔ المواطنين حتّى اليهود والنصارى إذا عملوا بشرائط الذمّهٔ، فهو يسمح للمسلمين ________________

۱- بحار الأنوار:۸۰/۱۰۰ـ ۸۱، الحديث ۳۷.

۲-سيرهٔ ابن هشام:۱/۵۰۱.

۳- الأموال، ص ۵۱۷، ط مصر .

۴- البدايهٔ والنهايهٔ:۲/۲۲۴. (۲۳)

بأن يعاملوا غيرهم من الطوائف غير المسلمهٔ بالعدل والرفق والشفقهٔ ماداموا لا يتآمرون على المسلمين و لا يسيئون إلى أمنهم، ولا يقاتلونهم، فالإسلام لا يمنع عن البرّ والقسط إليهم، وإنّما يمنع عن الذين ظاهروا على المسلمين وتآمروا ضدهم، ترى كلّ ذلك فى الآيتين التاليتين: يقول سبحانه:(لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّين ولَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطين* إِنّما يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذينَ قاتلُوكُمْ فِى الدِّين وأَخرجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهرُوا عَلى إِخرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتولَّهم فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُون).(۱) ويقول: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا بِطانَهً مِنْ دُونكُمْ لا يأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أَفواهِهِمْ وما تُخفِى صُدُورُهُمْ أَكبرُ قَدْ بَيّنّا لَكُمُ الآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُون).(۲) ولعلّ النظرهٔ الواحدهٔ إلى تاريخ الحكومات الإسلامية ________________

۱-الممتحنهٔ:۸ـ۹.

۲-آل عمران:۱۱۸. (۲۴)

يكشف لنا عفوهم وسماحتهم لكثير من الذمّيين من النصارى واليهود، وقد كانت الأقلّيات بين المسلمين يرجّحون الحياهٔ تحت ظلّ الإسلام على العيش مع الدول الكافرهٔ، نذكر هاهنا وثيقهٔ تاريخيهٔ ذكرها البلاذرى فى هذا المجال. قال: لمّا جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعهٔ اليرموك، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص[وكانوا مسيحيّين] : لولايتكم وعدلكم أحبّ إلينا ممّا كنّا فيه من الظلم والغشم، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينهٔ مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراهٔ [أى قسماً بالتوراهٔ] لا يدخل هرقل مدينهٔ حمص إلاّ أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى واليهود وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنّا عليه [من الظلم والحرمان]، وإلاّ (۲۵)

فانّا على أمرنا ما بقى للمسلمين عدد. فلمّا هزم اللّه الكفرهٔ وأظهر المسلمين، فتحوا مدنهم، وأخرجوا المقلّسين(۱) فلعبوا وأدّوا الخراج».(۲) إنّ الحاكم الإسلامى، من يشارك شعبه فى إفراحه وإتراحه، وفى آلامه وآماله لا أن يعيش فى بروج عاجيّهٔ، متنعماً فى أحضان اللذهٔ رافلاً فى أنواع الشهوات، غير عارف بأحوال من يسوسهم. يقول الإمام وهو يرسم ملامح الحاكم الإسلامى. «أأقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم فى مكاره الدهر، أوأكون أُسوهٔ لهم فى جشوبهٔ العيش، فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمهٔ المربوطهٔ همها علفها، أو المرسلهٔ، شغلها تقممها».(۳) ________________

۱- التقلیس: استقبال الولاة عند قدومهم بضرب الدّف والغناء وأصناف اللهو، راجع المنجد فی اللغة.

۲-البلاذری(م۲۷۹هـ)، فتوح البلدان، ص ۱۴۳.

۳- نهج البلاغة، الرسالة رقم۴۵. (۲۶)

الفصل الثالث

الفصل الثالث أنظمة الحکم فی المجتمعات البشریّة إنّ لنظم الحکم فی العالم ألواناً وأنواعاً نذکر عناوینها باختصار: ۱. النظام الملکی. ۲. الحکومة الأشرافیة. ۳. حکومة الأغنیاء. ۴. النظام الجمهوری. إلی غیر ذلک من الأنظمة المعروفة لدی السیاسیّین، غیر أنّ المهم لنا فی المقام کیفیّة نظام الحکم فی الإسلام بعد رحیل الرسول الأکرم، أمّا فی زمانه فلا شکّ أنّه الحاکم (۲۷)

المبعوث من اللّه سبحانه ولیس للناس اختیار فی ردّه وقبوله. یقول سبحانه: (وَما کانَ لِمؤمِن وَلا مُؤْمِنَة إذا قَضی اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ الخِیَرَةُ مِنْ أَمرِهِمْ).(۱) إنّ البحث عن صیغة الحکومة الإسلامیة من أهمّ المباحث لکنّها ـ للأسف ـ قلّت العنایة بترسیم شکلها ومعالمها وما یرجع إلیها من المباحث. أمّا الشیعة فبما أنّهم کانوا یمثّلون طول العصور جبهة الرفض والمعارضة للحکومات الجائرة لم تسنح لهم الظروف أن یتحدّثوا عن صیغة الحکومة الإسلامیة، وأمّا السنّة فقد تبعوا فی ترسیمها الوضع السائد علی الحکومات بعد رحیله ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ وزعمت أنّها حکومات إسلامیة شرعیة من دون أن ترفع النقاب عن واقع الحکومة الإسلامیة، ولأجل ذلک غابت الصورة الحقیقیة للحکومة الإسلامیة عن أذهان أکثر المسلمین، ومن حاول أن یستجلی کیفیة النظام الإسلامی یجب علیه رعایة الأُمور الثلاثة: ـــــــــــــــــ

۱-الأحزاب:۳۶. (۲۸) أوّلاً: العودة إلی المصادر الأساسیة للإسلام، ونعنی بها الکتاب والسنّة المطهرة. ثانیاً: أن لا یخلطوا بین ما وقع وجری علی الساحة الإسلامیة فی مجال الحکم، و بین ما هو مرسوم لنظام الحکم فی أصل الشریعة المقدّسة. ثالثاً: أن لا یخلطوا بین تاریخ المسلمین ونظام الدین، لأنّ ذلک التاریخ لا یکون ممثّلاً واقعیاً لکلّ تعالیم الدین، ولا مبرزاً لجمیع حقائقه. إنّ التتبع فی الکتاب والسنّة یقضی بأنّ الحکومة فی الإسلام تقوم بأحد أمرین، لکلّ واحد ظرفه الخاصّ: ۱. التنصیص الإلهی علی الحاکم الأعلی باسمه وشخصه. وهذا فیما لو کان هناک نصّ أو نصوص علی حاکمیة شخص معیّن علی الأُمّة کما فی النبیّ الأکرم ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ باتّفاق المسلمین، أو الأئمّة المعصومین حسب ما تذهب إلیه الشیعة. ومن المعلوم، أنّه لو کان نصّ لما جاز العدول عنه إلی (۲۹)

الطریق الآخر الذی سنشیر إلیه. ۲. التنصیص الإلهی علی صفات الحاکم الأعلی، وشروطه، ومواصفاته الکلیّة فیما إذا لم یکن هناک تنصیص علی الشخص، أو کان لکن الظروف تحول دون الوصول إلیه والانتفاع بقیادته. وبما انّ البحث فی الرسالة مرکّز علی بیان صیغة الحکومة بعد رحیل النبی ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ لا مطلقاً حتّی یشمل البحث الأحوال الحاضرة، فتتحدد الدراسة ببیان نظام الحکم بعد وفاة الرسول الأکرم ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ فقط وأمّا ما هی صیغة الحکم فی الأحوال الحاضرة فهو رهن کتاب مفرد قمنا ببیانها فی محاضراتنا.(۱) ـــــــــــــــــ

۱-لاحظ مفاهیم القرآن، الجزء الثانی تجد فیه بغیتک.

الفصل الرابع

الفصل الرابع التنصیص الإلهی علی الحاکم باسمه وشخصه لا شکّ أنّ النبیّ الأکرم ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ کان حاکماً منصوباً من جانبه سبحانه ولم یختلف فیه أحد من المسلمین إنّما الاختلاف فی صیغة الحکومة الإسلامیة، بعد رحیله، فهل هی کانت علی غرار حکومة النبی ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ وأنّ اللّه سبحانه نصب شخصاً أو أشخاصاً معیّنین للحکومة علی لسان نبیّه، أو أنّ

الحكومة بعده ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على غرار الطريق الثانى، أعنى: التنصيص على الصفات والشروط الكليّة اللازمة للحاكم، وحث الأُمّة على تعيين الحاكم من عند أنفسهم حسب تلك الصفات والشروط وعلى ضوء تلكم المواصفات؟ فهناك قولان، ذهبت إلى كلّ واحد طائفة من (۳۱)

المسلمين. إنّ طائفة كبيرة من المسلمين ذهبت إلى أنّ صيغة الحكومة بعد الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كانت حكومة تنصيصية إلهية على غرار حكومة النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ واللّه سبحانه نصّ على أسماء من يجب أن يخلفوا نبيّه على لسان نبيّه، وأوجب طاعتهم وحرّم مخالفتهم. ويمكن استجلاء الحقيقة بالطرق الثلاثة التالية: ۱. هل المصالح كانت تقتضى التنصيص على الاسم، أو كانت تقتضى التنصيص على الوصف وترك الاختيار للأُمّة؟ ۲. إنّ الفراغ الذى يحدث برحيل النبيّ الأكرم هل يسدّ بانتخاب الأُمّة، أو لا يسدّ إلّا بالتنصيص على فرد معيّن؟ ۳. ما هو المرتكز فى أذهان المسلمين فى حياة النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وبعد رحيله؟ وها نحن نأخذ كلّ واحد من هذه الطرق بالبحث والتحليل. (۳۲)

۱– المصالح العالية تقتضى التنصيص على الاسم

۱– المصالح العالية تقتضى التنصيص على الاسم كانت المصالح بعد رحيل النبى مقتضية لأن ينصب النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ شخصاً مكانه، وكان فى ترك الأمر إلى رأى الأُمّة مفسدة، ويعلم ذلك من خلال دراسة أمرين: أ: الأُمّة الإسلامية والخطر الثلاثى كانت الأُمّة الإسلامية قُبيل وفاة النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ محصورة بأكبر امبراطوريتين عرفهما تاريخ تلك الفترة. امبراطوريتان كانتا على جانب كبير من القوّة والبأس والقدرة العسكرية المتفوّقة ممّا لم يتوصّل المسلمون إلى أقلّ درجة منها... وتلك الامبراطوريتان هما: الروم وإيران. هذا من الخارج. (۳۳) وأمّا من الداخل، فقد كان الإسلام والمسلمون يُعانون من جماعة المنافقين الذين كانوا يشكّلون العدوّ الداخلى المبطّن (أو ما يسمى بالطابورالخامس). كان المنافقون يتربصون بالنبى الدوائر، حتّى أنّهم كادوا له ذات مرّة، وأرادوا أن يجفلوا به بعيره فى العقبة عند عودته من حجّة الوداع، وربّما اتّفقوا مع اليهود والمشركين لتوجيه الضربات إلى الكيان الإسلامى من الداخل تخلّصاً من هذا الدين الذى هدّد مصالحهم، ولقد كان المنافقون ولا يزالون أشدّ خطراً من أىّ شىء آخر على الإسلام، وذلك لأنّهم كانوا يوجّهون ضرباتهم بصورة ماكرة وخفيّة، وبنحو يخفى على العاديين من الناس. لقد تصدى الذكر الحكيم لفضح المنافقين والتشهير بجماعتهم وخططهم فى أكثر السور القرآنية، مثل البقرة، آل عمران، المائدة، الأنفال، التوبة، العنكبوت، الأحزاب، محمّد، الفتح، المجادلة، الحديد، والحشر. كما نزلت فى حقّهم سورة خاصة باسم المنافقين، ولا (۳۴)

يسعنا نقل معشار ما تآمروا به فى الفترة المدنية، ويكفى فى ذلك قوله سبحانه فى حقّهم:(لَقَدِ ابْتَغوا الفِتْنَة مِنْ قَبْلُ وَقلَّبُوا لَكَ الأُمورَ حتّى جاءَ الحَقُّ وظَهرَ أَمرُ اللّهِ وَهُمْ كارِهُون).(۱) ويشير أيضاً إلى تآمرهم ليلاً ونهاراً حيث كانوا يبيّتون خلاف ما يظهرونه ويبدونه أمام النبيّ كما يقول: (وَ يَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذى تَقُولُ).(۲) وكان من المحتمل جدّاً أن يتفق هذا الخطر الثلاثى ـ الناقم على الإسلام ـ على محو الدين وهدم كلّ ما بناه الرسول طوال ثلاثة وعشرين عاماً من الجهود والمتاعب، وتضييع كلّ ما قدّمه المسلمون من تضحيات فى سبيل إقامته. إنّ احتمال قيام المؤامرات واتّحاد قوى الشرك مع الطابور الخامس لم يكن يومذاك غائباً عن ذهنية المشرِف على ــــــــــــــــ

۱–التوبة:۴۸.

۲–النساء:۸۱. (۳۵)

الأوضاع السياسية فضلًا عن النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ، ومثل هذا يفرض على القائد العليم أن يدحض جميع تلك المخططات والمؤامرات بتنصيب خليفة من بعده عارفاً بالكتاب والسنّة، شُجاعاً مِقْداماً، واعياً بالأوضاع السياسية، حازماً، يمسك بزمام الأُمور ويقود المجتمع الإسلامى إلى ساحل الأمان وهذا بخلاف ما لو ارتحل دون أن يفكر بمستقبل الحكومة الإسلامية والمؤامرات والفتن التى

تحـدق بها، ويـدلى بالأمر إلى الأمّة كى تنتخب لها قائداً من بعده، فانّ اتخاذ مثل هذا الموقف كان على خلاف مصالح الأمّة ، وبعيداً عن ذهنيـة من كان محيطاً بالأوضاع الداخلية لأُمّته والنزاعات الطائفيـة التى كانت قائمـة على قـدم وساق والتى ربما كانت تنتهى إلى حروب داخليـة تجعـل الأُمّـة عرضـة لأطمـاع الأعـداء التوسـعية الـتى يحكى عنهـا قـوله سـبحانه: (أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ).(۱) ______________

۱– الطور:۳۰ . (۳۶) ب: النظام القبلى يمنع من الاتفاق على قائد لقد كان من أبرز ما يتميز به المجتمع العربى قبل الإسلام، هو النظام القبلى، والتقسيمات العشائريـة التى كانت تحتلّ ـ فى ذلك المجتمع ـ مكانـة كبرى، و تتمتّع بأهميّـة عظيمة. فلقد كان شـعب الجزيرة العربيـة،غارقاً فى هـذا النظام الـذى كان سائـداً فى كلّ أنحائها. ولقـد كان للقبيلـة أكبر الـدور فى الحياة العربية ـ قبل الإسـلام ـ وعلى أساسـها كانت تدور المفاخرات وتنشد القصائد، وتُبنى الأمجاد، كما كانت هى منشأ أكثر الحروب وأغلب المنازعات التى ربما كانت تسـتمرّ قرناً أو أزيـد، كما حـدث بين الأوس والخزرج، أكبر قبيلتين عربيّتين فى يثرب(المدينـة) كلّفهم مئات القتلى قبل دخول النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ المدينة. ورغم ما أوجد النبى ـ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فى ضوء التعاليم الإسـلامية من تحولات عظيمة فى حياة العرب إلّا أنّ أكثرها كانت تتعلّق (۳۷)

بقضايا عقائدية ومسائل أخلاقية، لا بالحياة القبلية، ولم يكن من الممكن أن ينقلب النظام القبلى العربى فى خلال ثلاث وعشـرين عاماً ويتبـدل كلّيّاً. بل كان التعصب للقبيلـة ولشـيخها هو المظهر الأتم للحياة القبلية. وعلى ضوء ذلك فهل يجوز فى منطق العقل أن يترك القائـد ـ كالنبى ـ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ـ أُمّته المفطورة على التعصـبات القبليـة والاختلافات العرقيّـة دون أن يعين مصـير الخلافة بتنصيب خليفة من بعده، و فى تعيينه قطع لدابر الاختلاف والفرقة، وسدّ لأفواه الطامعين بالخلافة؟! وأوضح دليل على التعصبات القبلية فى الشؤون الاجتماعيـة ولا سـيما فى الخلافـة العامة، هو الخلاف والتشاجر الذى ظهر فى السـقيفة حيث سارعت كلّ قبيلة إلى ترشـيح زعيمها للخلافـة متجاهلـة كلّ المبادئ والتعاليم الإسـلامية، فهذا هو الناطق بلسان الأنصار يرفع عقيرته فى السـقيفة ويقول: نحن أنصار اللّه وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر (۳۸)

المهاجرين رهط منّا وقـد دفّت دافّة من قومكم(۱)إذ هم يريـدون أن يجتازون(۲) ويغصـبونا الأمر. وهذا إن دلّ على شـىء فإنّما يدلّ على رسوخ التعصبات القبليـة فى نفوسـهم. أفيصـحّ لقائـد محنك كالنبى ـ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم ـ أن يترك الأمر لقوم هذا مبلغ تفكيرهم وتغلغلهم فى العصبيـة القبلية متجاهلة كل المعايير الإسـلاميّة فى الحاكم الإسـلامى. وهذا هو أحد المهاجرين الحاضـرين فى السـقيفة يتعصّب لقريش ويقول: «...لن تعرف العرب هذا الأمر (أى الزعامة) إلّا لهذا الحىّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً...». ومن قرأ تاريخ السقيفة والمناقشات الدائرة بين الحاضرين (الأوس والخزرج وجمع من المهاجرين) يلاحظ كيف تأجّجت نار العصبية بين هؤلاء بحيث أخذ كلّ ______________

۱–جاء جماعة ببطء .

۲–أى يدفعوننا من أصلنا . (۳۹)

يتعصّب لقبيلته دون أن ينظر إلى مصالح الإسـلام والمسلمين. إلى هنا تبين انّ المصلحة كانت تكمن فى التنصيب للخلافة دون الإدلاء بها إلى الأُمّـة، وقـد أوضـحنا حالها من خلال دراسة أمرين: ۱. الخطر الثلاثى المُحدِق بالإسـلام والمسـلمين. ۲. التعصبات القبلية التى تحول دون الاتّفاق على شـىء و تؤجّج نار الطائفية بين المسلمين. ونبحث الآن فى العامل الثانى الذى يدعم نظرية التنصيب من جانب النبىّ بوحى من اللّه. (۴۰)

۲– الفراغات الهائلة لا تسدّ إلّا بالتنصيص

۲– الفراغات الهائلـة لا تسدّ إلّا بالتنصـيص إنّ النبىّ الأكرم ـ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم ـ، كان يملأ فراغاً كبيراً وعظيماً فى حياة الأُمّة

الإسـلامية، ولم تكن مسؤولياته وأعماله مقتصـرة على تلقّى الوحى الإلهى، وتبليغه إلى الناس فحسب، بل كان يقوم بالأمور التاليـة: ١. يُفسِّر الكتاب العزيز، ويشـرح مقاصـده وأهدافه، ويكشف رموزه وأسـراره. ٢. يُبيِّن أحكـام الموضوعـات التى كانت تَحْـدُثُ فى زمن دعوته. ٣. يَرُدّ على الحملات التشكيكية، والتساؤلات (۴۱)

العويصـة المريبـة التى كـان يثيرهـا أعـداء الإسـلام من يهود ونصارى. ۴. يصـون الـدين من التحريف والـدسّ، ويراقب مـا أخـذه عنه المسـلمون من أُصول وفروع، حتّى لاـ تَزِلّ فيه أقـدامهم. وهـذه الأُمور الأربعـة كـان النبى يمارسـها ويملأ بشخصـيته الرساليـة ثغراتها. ولأجل جلاء الموقف نوضـح كلّ واحـد من هذه الأُمور. أمّا الأمر الأوّل: فيكفى فيه قوله سـبحانه: (وَأَنْزَلْنا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلناسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(١) فقـد وصف النبى فى هـذه الآيـة بـأنّه مبيّن لمـا فى الكتاب، لا مجرّد تال له فقط. وقوله سـبحانه: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنـا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ* فَإِذا قَرأْنـاهُ فَـاتَّبِعْ قُرآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنـا بَيـانَهُ)(٢) فكـان النـبى يتـولى بيـان مُجْمَلِهِ و مُطْلَقِهِ ومُقَيَّده،

١– النحل:۴۴.

٢–القيامة:١۶ـ١٩.

(۴۲)

بقـدر مـا تتطلبه ظروفه. والقرآن الكريم ليس كتابـاً عاديـاً، على نسق واحـد، حتّى يسـتغنى عن بيـان النبى، بـل فيه المُحكَم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلَق والمقيَّد، والمنسوخ والناسخ، يقول الإمام على ـ عليه السَّلام ـ : «وخلّف (النبى ـ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ) فيكم مـا خلّفت الأنبيـاء فى أُممهـا: كتـاب ربّكم فيكم، مبيّنـاً حلالـَه وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسـخه ومنسوخه، ورُخَصَه وعزائمه، وخاصّه وعامّه، وعِبره وأمثاله، ومُرسـله ومَحْدُدَهُ،ومحكمه ومتشابهه، مفسّراً مجمله، ومبيِّناً غوامضه».(١) وأمّا الأمر الثانى: فهو غنىٌّ عن التوضيح، فإنّ الأحكام الشرعية وصلت إلى الأُمّة عن طريق النبى، سواء أكانت من جانب الكتاب أو من طريق السنّة. وأمّا الأمر الثالث: فبيانه أنّ الإسـلام قد تعرض، منذ ظهوره، لأعنف الحملات التشكيكية، وكانت تتناول توحيده ورسالته وإمكان المعاد، وحشر الإنسان، وغير ذلك. وهذا هو ـــــــــــــــ

١–نهج البلاغة، الخطبة١ (۴۳)

النبى الأكرم، عنـدما قـدم عليه جماعة من كبار النصارى لمناظرته، اسـتدلّوا لاعتقادهم بنبوة المسـيح، بتولده من غير أب، فأجاب النبى بوحى من اللّه سـبحانه، بـأنّ أمر المسـيح ليس أغرب من أمر آدم حيث ولـد من غير أب ولا أُمّ قال سـبحانه: (إِنَّ مَثَلَ عيسـى عِنْـدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراب ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).(١) وأنت إذا سبرت تفاسير القرآن الكريم، تقف على أنّ قسماً من الآيات نزلت فى الإجابة عن التشكيكات المتوجهة إلى الإسلام من جانب أعدائه من مشركين ويهود و نصارى وقد وردت حول المعاد جملة كثيرة من الشـبهات التى كانوا يعترضون بها على عقيدة المعاد، وأجاب القرآن عنها. وأمّا الأمر الرابع: فواضح لمن لاحظ سيرة النبى الأكرم، فقد كان هو القول الفصل وفصل الخطاب، إليه يفىء الغالى، ويلحق التالى، فلم يُرَ أبّان حياته مذهب فى الأُصول والعقائد، ولا فى التفسـير والأحكام. وكان ـ بقيادته ـــــــــــــــ

١–آل عمران:۵٩. ولاحظ سورة الزخرف:۵٧ـ۶١. (۴۴)

الحكيمـة ـ يرفع الخصومـات والاختلافات، سواء فيما يرجع إلى السـياسة أو غيرها.(١) هـذه هى الأُمور التى مارسـها النبى الأكرم أيّام حياته، ومن المعلوم أنّ رحلته وغيابه صـلوات اللّه عليه، يخلّف فراغاً هائلاً ومفزعاً فى هذه المجالات الأربعة، فيكون التشريع الإسلامى حينئـذ أمام أُمور ثلاثـة: الأوّل: أن لا يبـدى الشارع اهتماماً بسـدّ هـذه الفراغات الهائلة التى سـتحدث بعد الرسول، ورأى تركَ الأُمور لتجرى على عَواهنها. الثانى : أن تكون الأُمّة، قد بلغت بفضل جهود صاحب الدعوة فى إعدادها، حدّاً تقدر معه بنفسها على سدّ ذلك الفراغ. ـــــــــــــــ

۱-یکفی فی ذلک ملاحظة غزوة الحدیبیة، وکیف تغلّب بقیادته الحکیمة علی الاختلاف الناجم، من عقد الصلح مع المشرکین وما نجم فی غزوة بنی المصطلق من تمزیق وحدة الکلمة ، أو ما ورد فی حجّة الوداع، حیث أمر من لم یَسُق هدیاً. بالإحلال، ونجم الخلاف من بعض أصحابه، فحسمه بفصله القاطع. (۴۵) الثالث: أن یستودع صاحب الدعوة، کلّ ما تلقاه من المعارف والأحکام بالوحی، وکلّ ما ستحتاج إلیه الأُمّة بعده، یستودعه شخصیة مثالیة، لها کفاءة تَقَبُّلِ هذه المعارف والأحکام وتحمُّلها، فتقوم هی بسد هذا الفراغ بعد رحلته صلوات اللّه علیه. أمّا الاحتمال الأوّل: فساقط جداً، لا یحتاج إلی البحث، فإنّه لا ینسجم مع غرض البعثة، فإنّ فی ترک سدّ هذه الفراغات ضیاعاً للدین والشریعة، وبالتالی قطع الطریق أمام رُقیّ الأُمّة وتکاملها فیبقی أمامنا احتمالان ندرسهما تالیاً. دراسة الاحتمال الثانی أن تکون الأُمّة قد بلغت بفضل جهود صاحب الدعوة فی إعدادها حدّاً تقدر معه بنفسها علی سدِّ ذلک الفراغ. غیر أنّ التاریخ والمحاسبات الاجتماعیة یبطلان هذا الاحتمال ویثبتان انّه لم یقدّر للأُمّة بلوغ تلک الذروة لتقوم (۴۶)

بسدّ هذه الثغرات التی خلّفها غیاب النبیّ الأکرم، لا فی جانب التفسیر ولا فی جانب الأحکام، ولا فی جانب ردّ التشکیکات ودفع الشبهات، ولا فی جانب صیانة الدین عن الانحراف. أمّا فی جانب التفسیر، فیکفی وجود الاختلاف الفاحش فی تفسیر آیات الذکر الحکیم حتی فیما یرجع إلی أعمال المسلمین الیومیة کما هو الحال فی تفسیر آیة الوضوء. وأمّا فی مجال الأحکام، فیکفی فی ذلک الوقوف علی أنّ بیان الأحکام الدینیّة حصل تدریجاً علی ما تقتضیه الحوادث والحاجات الاجتماعیة فی عهد الرسول ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ، ومن المعلوم انّ هذا النمط کان مستمرّاً بعد الرسول، غیر انّ ما ورثه المسلمون منه ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ لم یکن کافیاً للإجابة عن ذلک، أمّا الآیات القرآنیة فی مجال الأحکام فهی لا تتجاوز ثلاثمائة آیة، وأمّا الأحادیث فی هذا المجال، فالذی ورثته الأُمّة لا یتجاوز خمسمائة حدیث، وهذا القدر لا یفی بالإجابة عن جمیع الموضوعات المستجدّة. (۴۷) ولا نعنی من ذلک انّ الشریعة الإسلامیة ناقصة فی إیفاء أغراضها التشریعیة وشمول المواضیع المستجدّة، بل المقصود انّ النبی ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ کان یراعی فی إبلاغ الحکم حاجة الناس ومقتضیات الظروف الزمنیة، فلابدّ فی إیفاء غرض التشریع علی وجه یشمل المواضیع المستجدة والمسائل المستحدثة أن یستودع أحکام الشریعة من یخلفه ویقوم مقامه. وأمّا فی مجال ردّ الشبهات والتشکیکات وإجابة التساؤلات، فقد حصل فراغ هائل بعد رحلة النبیّ من هذه الناحیة، فجاءت الیهود والنصاری تتری، یطرحون الأسئلة، حول أُصول الإسلام وفروعه، ولم یکن فی وسع الخلفاء آنذاک الإجابة الصحیحة عنها، کما یشهد بذلک التاریخ الموجود بأیدینا. وأمّا فی جانب صیانة المسلمین عن التفرقة، والدّین عن الانحراف، فقد کانت الأُمّة الإسلامیة فی أشدّ الحاجة إلی من یصون دینها عن التحریف وأبناءها عن الاختلاف، فإنّ (۴۸)

التاریخ یشهد علی دخول جماعات عدیدة من أحبار الیهود ورهبان النصاری و مؤبدی المجوس بین المسلمین، فراحوا یدسّون الأحادیث الإسرائیلیة والأساطیر النصرانیة والخرافات المجوسیة بینهم، ویکفی فی ذلک أن یذکر الإنسان ما کابده البخاری من مشاقّ وأسفار فی مختلف أقطار الدولة الإسلامیة، وما رواه بعد ذلک، فإنّه ألفی الأحادیث المتداولة بین المحدثین فی الأقطار الإسلامیة، تربو علی ستمائة ألف حدیث، لم یصحّ لدیه منها أکثر من أربعة آلاف، وکذلک کان شأن سائر الذین جمعوا الأحادیث وکثیر من هذه الأحادیث التی صحّت عندهم کانت موضع نقد وتمحیص عند غیرهم.(۱) فهذه المجعولات علی لسان الوحی، تقلع الشریعة من رأس، وتقلب الأُصول، وتتلاعب بالأحکام، وتشوّش التاریخ، أو لیس هذا دلیلاً علی عدم وفاء الأُمّة بصیانة دینها عن الانحراف والتشویش؟! ________________

۱-لاحظ حیاة محمد، لمحمّد حسین هیکل، الطبعة الثالثة عشرة:۴۹ـ۵۰. (۴۹) هذا البحث الضافی یثبت حقیقة ناصعة، وهی عدم تمکّن الأُمّة، مع ما لها من الفضل، من القیام بسدِّ الفراغات الهائلة التی خلّفتها رحلة النبیّ الأکرم ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ ویبطل بذلک الاحتمال الثانی تجاه التشریع الإسلامی بعد عصر الرسالة. فیتعین الاحتمال الثالث الذی ندرسه تالیاً. دراسة الاحتمال الثالث أن یستودع صاحب الدعوة، کلّ ما تلقّاه من المعارف والأحکام بالوحی، وکلّ ما ستحتاج إلیه الأُمّة بعده، شخصیّة مثالیة، لها کفاءة تقبُّل

هذه المعارف والأحكام وتحمّلها، فتقوم هى بسدِّ هذا الفراغ بعد رحلته ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وبعد بطلان الاحتمالين الأوّلين لا مناص من تعيُّن هذا الاحتمال، فإنّوجود إنسان مثالى كالنبىّ فى المؤهّلات، عارف بالشريعة ومعارف الدين، ضمان لتكامل المجتمع، وخطوة ضرورية فى سبيل ارتقائه الروحى والمعنوى، فهل يسوغ للّه سبحانه أن يهمل هذا الأمر الضرورى فى حياة الإنسان الدينية؟ (۵۰) إنّ اللّه سبحانه جهَّز الإنسان بأجهزة ضرورية فيما يحتاج إليها فى حياته الدنيوية المادية، ومع ذلك كيف يعقل إهمال هذا العنصر الرئيسى فى حياته المعنوية والدينية؟! يقول المفكّر الإسلامى الكبير ابن سينا: إنّه تعالى قد زوّده بإنبات الشعر على أشفار عينيه وحاجبيه وتقعير الأخمص من القدمين لكى تكون حياته لذيذة غير متعبة، فهل تكون حاجته إلى هذه الأُمور أشد من حاجته إلى الإمام المنصوب من اللّه الذى يضمن كماله بعلمه وتقواه، وقيادته الحكيمة. (۱) ومن الواضح انّ التعرف على هذا الشخص الذى توفرت فيه مؤهلات غيبية لا ـ يحصل إلاّ عن طريق تنصيبه من قبل النبى بأمر من اللّه سبحانه، وهذا ما يدعم نظرية التنصيب مكان انتخاب الأُمّة . ________________

۱- كتاب النجاة، ص ۳۰۴ . (۵۱)

۳- ما هو المرتكز للصحابة فى صيغة الحكومة؟

۳- ما هو المرتكز للصحابة فى صيغة الحكومة؟ لقد دلّت المحاسبات العقلية والاجتماعية السابقة على لزوم تنصيب الإمام من جانب اللّه تعالى، وأثبتت أن إدلاء الأمر إلى نظر الأُمّة وانتخابها وتعيينها خطأ فاضح، يأباه العقل وترفضه المصالح العامة وتعارضه المحاسبات الاجتماعية. وهناك جانب آخر يسلط الضوء على نظرية الإمامة وهو تصور النبى وأصحابه للإمامة والخلافة. أمّا الأوّل فالقرائن والشواهد تؤكد على أنّ مسألة (۵۲)

الإمامة كانت عندهم تنصيبية وفيما ننقل من الشاهدين تصريح بذلك: ۱. لما عرض الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ نفسه على بنى عامر الذين جاءوا إلى مكة فى موسم الحجّ ودعاهم إلى الإسلام، قال له كبيرهم؟ أرأيت إن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك اللّه على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ :«الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء».(۱) ۲. لما بعث النبىّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ سليط بن عمرو العامرى إلى ملك اليمامة الذى كان نصرانياً، يدعوه إلى الإسلام وقد كتب معه كتاباً، فقدم على هوذة، فأنزله وحباه وكتب إلى النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يقول فيه: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومى وخطيبهم، والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الأمر أتّبعك. فقدم سليط على النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وأخبره بما قال هوذة، وقرأ ________________

۱- السيرة النبوية لابن هشام:۲/۴۲۴ـ ۴۲۵. (۵۳)

كتابه، فقال النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «لو سألنى سيابة من الأرض ما فعلت. باد وباد ما فى يده».(۱) إنّ هذين النموذجين التاريخيين للّذين لم تمسّهما أيدى التحريف والتغيير يدلاّن خصوصاً الأوّل بوضوح كامل على تصور النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ عن مسألة الخلافة والقيادة من بعده، فهما يدلاّن على أنّ هذه المسألة كانت إذا طرحت على النبى، وسئل عمّن سيخلفه فى أمر قيادة الأُمّة كان يتجنب إرجاعها إلى نفسه أو إلى نظر الأُمّة، بل يرجع أمرها إلى اللّه تعالى، أو يتوقّف فى إبداء النظر فيه على الأقل. وأمّا تصوّر الصحابة لمسألة الخلافة والمرتكز فى أذهانهم فقد كان يدور حول التنصيب، أى سدّ الفراغ بتنصيب إمام سابق على إمامة إمام لاحق، وما كان يدور فى خلدهم، انتخاب الشعب، أو أهل الحلّ والعقد من الأُمّة، وإليك شواهد على ذلك. ________________

۱-طبقات ابن سعد الكبرى:۱/۲۶۲. (۵۴) ما هو المرتكز فى أذهان الصحابة؟ إنّ المتتبع فى تاريخ الصحابة والخلفاء والذين تعاقبوا على مسند الخلافة بعد النبى، يرى بوضوح انّ الطريقة التى اتّبعها أُولئك الصحابة، والخلفاء كانت هى الطريقة الانتصابية ـ وإن كان الانتصاب من جانب شخص لا من اللّه سبحانه ـ لا الانتخابية الشعبية. فالخليفة السابق كان يعين الخليفة اللاحق، إمّا مباشرة أو بتعيين

أشخاص يتولون تعيين الخليفة والاتفاق عليه، ولم يترك أحد أولئك أمر القيادة إلى نظر الأمّة وإرادتها واختيارها، أو يتكل على آراء المهاجرين والأنصار، أو أهل الحلّ والعقد ليختاروا مَن يشاءون للخلافة والامرة. فمن يلاحظ تاريخ الصدر الأوّل يرى انّ خلافة عمر ابن الخطاب تمت بتعيين من أبى بكر. ۱. روى ابن الأثير فى كامله أنّ أبا بكر أملى على عثمان عهده، ولكنّه غشى عليه أثناء الإملاء، فأكمله عثمان وكتب (۵۵)

فيه استخلاف عمر من عند نفسه، ثمّ إنّه لما أفاق أبو بكر من غشيته، وافق على ما كتبه عثمان، وإليك نصّ ما كتبه ابن الأثير: إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفان ليكتب عهده إلى عمر فقال له: اكتب بسم اللّه الرّحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد... ثمّ أُغمى عليه... فكتب عثمان أمّا بعد: فانّى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً. ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علىّ، فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس ان متُّ فى غشيتى. قال عثمان: نعم. قال: جزاك اللّه خيراً عن الإسلام وأهله. فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس فجمعهم، وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، و كان عمر يقول للناس: انصتوا واسمعوا لخليفة رسول اللّه انّه لم (۵۶)

يألكم نصحاً. فسكت الناس فلما قرأ عليهم الكتاب سمعوا له وأطاعوا.(۱) وأمّا استخلاف عثمان فقد ذكره المؤرخون ونقتصر على نصّ ابن الأثير فى كامله، قال: ۲. انّ عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت؟ فقال: مَنْ استخلف؟ لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته، ولو كان سالم مولى حذيفة حياً لاستخلفته. فقال رجل: أدلك عليه عبد اللّه بن عمر، فقال عمر: قاتلك اللّه كيف استخلف من عجز عن طلاق امرأته... إلى أن قال: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ انّهم من أهل الجنة، وهم: على وعثمان وعبد الرحمن و سعد والزبير ________________

۱- الكامل فى التاريخ:۲/۲۹۲ ؛طبقات ابن سعد الكبرى:۳/۲۰۰. (۵۷)

بن العوام وطلحة بن عبد اللّه. فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن والزبير، فقال لهم: إنّى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلاّ فيكم، وقد قبض رسول اللّه وهو عنكم راض، وانّى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنّى أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها، واختاروا رجلاً منكم ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيّام، وليصلّ بالناس صهيب، ولا ـ يأتى اليوم الرابع إلاّ ـ وعليكم أمير. فاجتمع هؤلاء الرهط فى بيت حتّى يختاروا رجلاً منهم. قال لصهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضى ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً، فحكّموا عبد اللّه بن عمر ؛فإن لم يرضوا بحكم عبد اللّه بن عمر، فكونوا مع (۵۸)

الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع فيه الناس.(۱) وعلى هذه السيرة جرى أصحاب السياسة بعد حياة الرسول ولم يكن عندهم أىّ رؤى فى تعيين الخليفة لا ـ بالشورى ولا ببيعة أهل الحل والعقد، بل كان التنصيص عندهم هو الطريق الوحيد، لكن لا ـ من اللّه سبحانه بل من جانب الخليفة الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة. ۳. روى المؤرخون انّه لما اغتيل عمر بن الخطاب وأحسّ بالموت، أرسل ابنه عبد اللّه إلى عائشة واستأذن منها أن يدفن فى بيتها مع رسول اللّه ومع أبى بكر، فأتاها عبد اللّه، فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة، ثمّ قالت: يا بُنى، أبلغ عمر سلامى وقل له، لا تدع أُمّة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملا، فانّى أخشى عليهم الفتنة، فأتاه فأعلمه.(۲) ________________

۱-الكامل فى التاريخ:۳/۳۵.

۲-الإمامة والسياسة:۱/۳۲. (۵۹) ۴. انّ عبد اللّه بن عمر دخل على أبيه قبيل وفاته فقال: إنّى سمعت الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك، وزعموا انّك غير مستخلف وانّه لو كان لك راعى إبل أو غنم ثمّ جاءك وتركها لرأيت ان قد ضيّع فرعاية الناس أشد.(۱) ۵. قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة من أهلها لابنه يزيد، فاجتمع مع عدّة من الصحابة، وأرسل إلى عبد اللّه بن عمر فأتاه وخلا

به، وکلمه بکلام، وقال: انّی کرهت أن أدع أمّة محمد بعدی کالضأن لا راعی لها.(۲) الآن حصحص الحق إنّ هذا البحث الضافی المقرون بالشواهد والدلائل التاریخیة یثبت بوضوح انّ نظام الحکم بعد رحیل النبی کان قائماً علی التنصیب من اللّه سبحانه کتنصیبه للنبی، وتشهد ـــــــــــــــــــ

۱–حلیة الأولیاء:۱/۴۴.

۲–الإمامة والسیاسة:۱/۱۶۸. (۶۰)

علی ذلک الأُمور المتقدّمة التی نأتی بخلاصتها لیستنتج منها النتیجة المبتغاة، وإلیک إعادة الدلائل إجمالاً: ۱. انّ الدولة الإسلامیة الفتیة کانت محاطة بعد وفاة النبی بأعداء فی الداخل والخارج، فمقتضی المصلحة العامة فی تلک الظروف الحرجة تعیین الإمام لئلا تُترک الدولة بعد وفاة الرسول ـ صلَّى الله علیه وآله وسلَّم ـ عرضة للاختلاف وبالتالی تمکن أعداءها منها. ۲. انّ حیاة العرب فی عاصمة الإسلام وخارجها کانت حیاة قبلیة والتعصبات العشائریة لا تزال راسخة فی نفوسهم، وترک أمر الخلافة إلی مجتمع هذا حاله یؤدّی إلی التشاغل والاختلاف وبالتالی إلی القتل والدمار. ۳. انّ الفراغات الهائلة الطارئة بعد رحیل النبی علی ما تقدم لا یسد إلاّ بتنصیب من یکون له مؤهلات علمیة ونفسیة یقوم بوظائف النبی فی تلک المجالات دون أن یکون نبیاً أو رسولاً والذی یتمتع بهذه المؤهلات یجب أن یکون خاضعاً لرعایة إلهیة ولا یعرّف إلاّ من جانبه. (۶۱) ۴. انّ تصور النبی للخلافة الإسلامیة هو إیکالها إلی اللّه سبحانه. ۵. کما أنّ تصور الصحابة وسیرتهم فی الخلافة هی سیرة التنصیب وکانوا یحتجون بأنّ فی ترکه تعریضاً للأُمّة للهلاک والدمار وفریسة للذئاب والأعداء. وهل یمکن أن یلتفت الخلفاء وأُمّ المؤمنین إلی ضرورة التنصیب صیانة للأُمّة عن وقوعها فریسة للأعداء ولا ـ یلتفت إلیه النبی ـ صلَّى الله علیه وآله وسلَّم ـ الذی أُوتی من العلم ما أُوتی، ویقول سبحانه فی حقّه: (وَکانَ فَضْلُ اللّه عَلَیْکَ عَظیماً).(۱) کلّ ذلک یعرب عن أنّ القائد الحکیم بأمر من اللّه سبحانه سلک مسلکاً ونهج منهجاً یطابق هذه الأُصول والمقدمات وما خالفها وعیّن القائد بعده فی حیاته وأعلنه للأُمّة فی موسم أو مواسم. هذا ما أوصلنا إلیه السبر والتقسیم والمحاسبة فی الأُمور الاجتماعیة والسیاسیة فیجب علینا عندئذ الرجوع إلی ـــــــــــــــــــ

۱–النساء:۱۱۳. (۶۲)

الکتاب والسنّة لنقف ونتعرف علی ذلک القائد المنصوب، ونذعن بأنّ عمل النبیّ کان مرافقاً لهذه الأُصول العقلائیة التی تقدّمت. وهذا ما سیوافیک بعد دراسة نظریة مبدئیة الشوری للحکم.

الفصل الخامس

الفصل الخامس هل الشوری أساس الحکم والخلافة؟ ربما یتصوّر بعض الکتاب الجدد انّ نظام الحکم فی الإسلام هو الشوری، وقد حاول غیر واحد من المعاصرین صبّ صیغة الحکومة الإسلامیة علی أساس المشورة بجعله بمنزلة الاستفتاء الشعبی بملاحظة انّه لم یکن من الممکن بعد وفاة النبی مراجعة کلّ الأفکار لقلّة وسائل المواصلات فاکتفوا بالشوری، واستدلّوا علیه بآیتین کریمتین: ۱.(وَشاوِرْهُمْ فِی الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلی اللّه).(۱) ۲. (والَّذینَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمرُهُمْ ـــــــــــــــــــ

۱–آل عمران:۱۵۹. (۶۴) شُوری بَیْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُون).(۱) هذه النظریة وإن کانت لها روعة خاصة خصوصاً وانّها تتجاوب مع روح العصر لکن الواقع علی خلافها لما عرفت من أنّ عمر بن الخطاب أخذ بزمام الحکم بتعیین الخلیفة الأوّل، وانّ الثالث استتب له الأمر بشوری سداسیة عیّنها نفس الخلیفة، حتّی أنّ الخلیفة الأوّل أخذ زمام الحکم ببیعة نفرات قلیلة، وهم: عمر بن الخطاب و أبو عبیدة، من المهاجرین وبشر بن سعد، من الخزرج، وأسید بن حضیر من الأنصار، وأمّا الباقون من رجال الأوس لم یبایعوا أبا بکر إلاّ تبعاً لرئیسهم«سعد بن حضیر»، کما أنّ الخزرجیین رغم حضورهم فی السقیفة، امتنعوا من البیعة لأبی بکر.(۲) وقد غاب عن المجلس کبار الصحابة کالإمام علی ـ علیه السَّلام ـ والمقداد، وأبی ذر، وحذیفة بن الیمان، وأبی بن کعب، وطلحة، والزبیر وعشرات آخرین

من الصحابة. دون أن يكون هناك ـــــــــــــــــــــــ

۱–الشورى:۳۸.

۲–راجع تاريخ الطبرى:۲/۴۴۵. (۶۵)

شورى وإنّما وقعت الأُمّـة أمام عمل مفروغ عنه. وأحسن كلمـة تعبر عن خلافـة أبى بكر ما ذكره عمر ابن الخطاب بقوله: ...إنّما كانت بيعـة أبى بكر فلتـة وتمت، ألا وانّها قد كانت كذلك ولكن اللّه وقى شـرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر، من بايع رجلاًـ من غير مشورة من المسـلمين فلا يبايع هو ولا الـذى بايعه، تغرّة ان يقتلا.(۱) نقـد كون الشورى مبـدأ الحكم إنّ هنا أُموراً تثبت بوضوح على أنّ الشورى لم يكن مبـدأً لنظام الحكم بعـد رحيل الرسول، وإليك الإشارة إليها. ۱. لو كـان أساس الحكم هو الشورى، لوجب على الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ التصـريح به أوّلاً، و بيان حدوده وخصوصياته ثانياً، بأن يبين من هم الذين يشاركون فى الشورى، هل هم القراء وحدهم، أو السياسيون أو القادة العسكريون أو ـــــــــــــــــــــــ

۱–صحيح البخارى:۸/۱۶۹، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. (۶۶)

الجميع؟ ومـا هى شـرائط المنتخب؟ وأنّه لو حصـل هنـاك اختلاـف فى الشورى فمـا هو المرجـح؟ هـل هو كميـة الآـراء وكثرتها، أو الرجحان بالكيفية، وخصوصـيات المرشـحين وملكاتهم النفسـية والمعنوية؟ فهل يصحّ سـكوت النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ على الاجابة عن هذه الأسئلة التى تتصل بجوهر مسألة الشورى، وقد جعل الشورى طريقاً إلى تعيين الحاكم؟ ۲. انّ القوم يعبّرون عن أعضاء الشورى بأهل الحل والعقد، ولا يفسـرونه بما يرفع إبهامه، فمن هم أهل الحل والعقد؟ وماذا يحلون وماذا يعقدون؟ أهم أصحاب الفقه والرأى الـذين يرجع إليهم النـاس فى أحكـام دينهم؟ وهل يشترط حينئـذ درجـة معينـة من الفقه والعلم؟ وما هى تلك الدرجـة؟ وبأى ميزان تـوزن؟ ومـن إليـه يرجع الأـمر فى تقـديرها؟ أم غيرهـم، فمـن هم؟ وربمـا تجـد من يبـدل كلمـة أهـل الحـلّ والعقـد بـ«الأـفراد المسؤولين» وما هو إلّا وضع كلمـة مجملـة مكان كلمة مثلها. (۶۷) ۳. وعلى فرض كون الشورى أسـاس الحكم، فهل يكون انتخاب أعضاء الشورى ملزماً للأُمّة، ليس لهم التخلّف عنه؟ أو يكون بمنزلة الترشـيح حتّى تعطى الأُمّة رأيها فيه؟ وما هو دليل كلّ منهما؟ هذه الأسـئلة كلّها، لا تجـد لها جواباً فى الكتاب والسـنّة ولا فى كتب المتكلّمين، ولو كانت مبـدأً للحكم لما كان السـكوت عنها سائغاً، بل لكان على عاتق التشـريع الإسلامى الإجابة عنها وإضاءة طرقها. ۴. انّ الحكومة الإسـلامية دعامة الدين وأساس نشر العدل والقسط فى المجتمع ودعوة الناس من الإديان كافـة إلى الإسـلام إلى مالها من الفوائد العظيمة التى لا تدرك ولا توصف بالبيان. فلو كانت صـيغة الحكومة هى التنصـيب فقد أدى التشـريع الإسلامى وظيفته وجاز له السكوت عن البحث حول الحكومة وصيغتها وسائر الأُمور الراجعة إليها، وأمّا لو كانت صيغة الحكومة من الشورى أو البيعة فلماذا لم يرد فى (۶۸)

الكتاب والسـنّة التصـريح بذلك الأمر وبيان شـرائط الشورى من المنتخِب والمنتخَب . انّا نرى أنّه روى عن النبى ـ صـلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ حول القدر نحو ۲۵۰ روايـة، وحول آداب التخلى ما لا يحصـى، وهكـذا فى أكثر الأُمور العادية النازلة مرتبة ومكانة، فهل من المعقول سكوت التشريع الإسلامى عن أمر بالغ الأهمية والخطورة وإسهاب الكلام فى أُمور عادية؟! وأمّا الاستدلال بالآيتين الكريمتين فلا يصحّ تماماً فى المقام. أمّا الآية الأُولى أوّلاً: قوله سبحانه: (وَشاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلى اللّه)(۱) فالخطاب فيها متوجه إلى الحاكم الـذى اسـتقرت حكومته، فيأمره سـبحانه أن ينتفع من آراء رعيته فأقصـى ما يمكن التجاوز به عن الآية، هو انّ من وظائف كلّ الحكام التشاور مع الأُمّة، وأمّا انّ الخلافة بنفس الشورى، فلا يمكن الاستدلال عليه بهذه الآية. ـــــــــــــــــــــــ

۱–آل عمران:۱۵۹. (۶۹) وثانيـاً: انّ المتبـادر من الآيـة هو أنّ التشـاور لا يوجب حكماً للحاكم، ولا يلزمه بشـىء، بل هو يقلب وجوه الرأى ويستعرض الأفكار المختلفـة، ثمّ يأخـذ بما هو المفيـد فى نظره، وذلك لقوله سـبحانه فى نفس الآيـة: (فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلى اللّه)، المعرب عن أنّ العزم والتصـميم والاسـتنتاج من الآـراء والأخـذ بما هو الأصـلح راجع إلى نفس المشـير، وهـذا يتحقّق فى ظرف يكون هنـاك مسؤول تـام الاختيـار فى اسـتحصال الأفكار والعمل بالنافع منها، حتّى يخاطب بقوله: (فَإِذا عَزَمْتَ)، وأمّا إذا لم يكن ثمة

رئيس، فلا تنطبق عليه الآيـة، إذ ليس فى انتخاب الخليفـة بين المشيرين من يقوم بـدعوة الأفراد للمشورة، لغاية اسـتعراض آرائهم، ثمّ تمحيص أفكارهم، والأخذ بالنافع منها، ثمّ العزم القاطع عليه. وكلّ ذلك يعرب عن أنّ الآية ترجع إلى غير مسألة الحكومة وما شابهها. ولأجل ذلك لم نر أحـداً من الحاضـرين فى السـقيفة احتـجّ بهـذه الآيـة. وأمّا الآية الثانية فهى: قوله سـبحانه: (وَالَّذِينَ (۷۰) اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقـامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقْنـاهُمْ يُنْفِقُونَ).(۱) فيقرر كيفيـة دلالتهـا على كون الشورى مبـدأً للحكم بالبيـان التـالى: أنّ المصـدر (أمْر) أضـيف إلى الضـمير (هُمْ)، وهو يفيـد العموم والشـمول لكـلّ أمر، ومنه الخلافـة، فيعود معنى الآيـة أنّ شأن المؤمنين فى كلّ مورد، شورى بينهم. يلاحظ عليه: أنّ الآيـة تأمر بالمشورة فى الأُمور المضافة إلى المؤمنين، وأمّا أنّ تعيين الخليفة من الأُمور المضافة إليهم، فهو أوّل الكلام، والتمسّك بالآية فى هذا المجال، تمسّك بالحكم فى إثبات موضوعه. وبعبارة أُخرى : إنّ الآية حثّت على الشـورى فيمـا يمتّ إلى شـؤون المـؤمنين بصـلة، لا ـ فيمـا هـو خـارج عن حوزة أُمورهم، أمّـا كون تعيين الإمـام داخلاً ـ فى أُمورهم، فهو أوّل الكلام، إذ ــــــــــــــــــــ

۱-الشورى:۳۸. (۷۱)

لا ندرى هل هو من شؤونهم أو من شؤون اللّه سبحانه، ولا ندرى، هل هى إمرة وولاية إلهيّة تتم بنصبه سبحانه وتعيينه، أو إمرة وولاية شعبيّة، ويجوز للناس التدخّل فيها. ومع هذا الترديد لا يصحّ التمسّك بالآية. (۷۲)

الفصل السادس

الفصل السادس النصوص الدينيـة وتنصيب علىّ ـ عليه السّلام ـ للإمامة قد تبيّن بما قدّمناه من الأبحاث على ضوء الكتاب والسـنّة ومن خلال مطالعة تاريخ الإسلام والمحاسبة فى الأُمور الاجتماعية والسياسيّة، وفى ظلّ هداية العقل الصريح، انّ خليفة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وإمـام المسـلمين يجب أن يكون منصوبـاً من جـانب الرسول بـإذن من اللّه سـبحانه، وعندئـذ يلزمنـا الرجوع إلى الكتاب والسنّة لنقف على ذلك القائد المنصوب فنقول: إنّ من أحاط بسيرة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يجد على بن أبى طالب (۷۳) وزير رسول اللّه فى أمره وولى عهـده وصاحب الأمر من بعـده، ومن وقف على أقوال النبى وأفعاله فى حلّه وترحاله، يجـد نصوصه فى ذلك متواترة، كما أنّ هناك آيات من الكتاب العزيز تهـدينا إلى ذلك، ونحن نكتفى فى هـذا المجال بـذكر آيـة الولاية من الكتاب ونتبعها بحديثى المنزلة والغدير: ۱. آية الولاية قال سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ).(۱) وقبـل الاسـتدلال بالآيـة نـذكر شـأن نزولها، روى المفسـرون عن أنس بن مالك وغيره انّ سائلاً أتى المسـجد وهو يقول: من يقرض الملىء الوفىّ، وعلىّ راكع يشـيربيده للسائل: إخلع الخاتم من يـدى، فما خرج أحد من المسـجد حتى نزل جبرئيل بـ:

۱-المائدة:۵۵. (۷۴) (إِنّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ) .(۱) وإليك توضـيح الاسـتدلال: إنّ المستفاد من الآية انّ هناك أولياء ثلاثة وهم: اللّه تعالى، ورسوله، والمؤمنون الموصوفون بالأوصـاف الثلاثـة، وانّ غير هؤلاء من المؤمنين هم مولّى عليهم، ولا ـ يتحقّق ذلك إلاّ بتفسـير الولى بالزعيم والمتصرّف فى شؤون المولّـى عليه، إذ هذه الولاية تحتاج إلى دليل خاص، ولا يكفى الإيمان فى ثبوتها، بخلاف ولاية المحبّة والنصرة، إذ هما من فروع الإيمان، فكلّ مؤمن محبّ لأخيه المؤمن وناصر له . ــــــــــــــــــــ

۱-رواه الطبرى فى تفسيره:۶/۱۸۶ ;والجصـاص فى أحكام القرآن:۲/۴۴۶ ;والسـيوطى فى الدر المنثور:۲/۲۹۳ ;وغيرهـم. وأنشأ حسّان بن ثابت فى ذلك أبياته المعروفة ،وهى: أبا حسن تفديك نفسى ومهجتى * وكلّ بطىء فى الهدى ومسارع

أيذهب مدحى والمحبين ضائعاً * وما المدح فى ذات الإله بضائع

فأنت الذى أعطيت إذ أنت راكع * فدتك نفوس القوم يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خير سيد * ويا خير شار ثم يا خير بائع

فأنزل فیک اللّه خیر ولایة * وبیّنها فی محکمات الشرائع (۷۵) هذا مضافاً إلی الاختصاص المستفاد من کلمة إنّما وأحادیث شأن النزول الواردة فی الإمام علی ـ علیه السَّلام ـ، فهذه الوجوه الثلاثة تجعل الآیة کالنصّ فی الدلالة علی ما یرتئیه الإمامیة فی مسألة الإمامة. فإن قلت: إذا کان المراد من قوله: (الَّذِینَ آمَنُوا) هو الإمام علی بن أبی طالب ـ علیه السَّلام ـ فلماذا جیء بلفظ الجماعة؟ قلت: جیء بذلک لیرغب الناس فی مثل فعله فینالوا مثل ثوابه، ولینبّه علی أنّ سجیّة المؤمنین یجب أن تکون علی هذه الغایة من الحرص علی البرّوالإحسان وتفقّد الفقراء حتی إن لزمهم أمر لا یقبل التأخیر وهم فی الصلاة، لم یؤخّروه إلی الفراغ منها.(۱) وهناک وجه آخر أشار إلیه الشیخ الطبرسی، وهو انّ النکتة فی إطلاق لفظ الجمع علی أمیر المؤمنین، تفخیمه وتعظیمه، وذلک انّ أهل اللغة یعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد علی سبیل التعظیم، وذلک أشهر فی کلامهم من أن ــــــــــــــــ

۱ـالکشاف:۱/۶۴۹، دار الکتاب العربی، بیروت. (۷۶)

یحتاج إلی الاستدلال علیه.(۱) ربما یقال إنّ المراد من الولیّ فی الآیة لیس هو المتصرف، بل المراد الناصر والمحبّ بشهادة ما قبلها وما بعدها، حیث نهی اللّه المؤمنین أن یتّخذوا الیهود والنصاری أولیاء، ولیس المراد منه إلاّـ النصرة والمحبة، فلو فُسّرت فی الآیة بالمتصرّف یلزم التفکیک.(۲) والجواب عنه: انّ السّیاق إنّما یکون حجّة لو لم یقم دلیل علی خلافه، وذلک لعدم الوثوق حینئذبنزول الآیة فی ذلک السیاق، إذ لم یکن ترتیب الکتاب العزیز فی الجمع موافقاً لترتیبه فی النزول بإجماع الأُمّة ، وفی التنزیل کثیر من الآیات الواردة علی خلاف ما یعطیه السیاق کآیة التطهیر المنتظمة فی سیاق النساء مع ثبوت النص علی اختصاصها بالخمسة أهل الکساء.(۳)

ــــــــــــــــ

۱ـ مجمع البیان:۳ـ۴/۲۱۱.

۲ـ الإشکال للرازی فی: مفاتیح الغیب: ۱۲/۲۸.

۳ـالمراجعات: ۱۶۷، الرقم ۴۴. (۷۷) ۲. حدیث«المنزلة» روی أهل السیر والتاریخ انّ رسول اللّه ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ خلّف علیّ بن أبی طالب ـ علیه السَّلام ـ علی أهله فی المدینة عند توجّهه إلی تبوک، فأرجف به المنافقون، وقالوا ما خلّفه إلاّ استثقالاً له وتخوّفاً منه، فضاق صدره بذلک، فأخذ سلاحه وأتی النبیّ وأبلغه مقالتهم، فقال ـ صلَّی الله علیه وآله وسلَّم ـ: «کذبوا، ولکنّی خلّفتک لما ترکت ورائی، فارجع واخلف فی أهلی وأهلک، أفلاـ ترضی یا علیّ أن تکون منّی بمنزلة هارون من موسی، إلاّـ أنّه لاـ نبیّ بعدی؟».(۱) إضافة کلمة«منزلة» ـ وهی اسم جنس ـ إلی هارون ــــــــــــــــ

۱ـالسیرة النبویة لابن هشام:۲/۵۱۹ـ ۵۲۰. وقد نقله من أصحاب الصحاح، البخاری فی غزوة تبوک:۶/۳، ط ۱۳۱۴ ;ومسلم فی فضائل علی:۷/۱۲۰ ;وابن ماجة فی فضائل أصحاب النبی:۱/۵۵ ;والإمام أحمد فی غیر مورد من مسنده، لاحظ: ۱/۱۷۳، ۱۷۵، ۱۷۷، ۱۷۹، ۱۸۲، ۱۸۵، ۲۳۰ ;وغیرهم من الأثبات الحفاظ. (۷۸)

یقتضی العموم، فالروایة تدلّ علی أنّ کلّ مقام ومنصب کان ثابتاً لهارون فهو ثابت لعلیّ، إلاّ ما استثنی وهو النبوّة، بل الاستثناء أیضاً قرینة علی العموم ولولاه لما کان وجه للاستثناء، وکون المورد هو الاستخلاف علی الأهل لا یدلّ علی الاختصاص، فإنّ المورد لا یکون مخصِّصاً، کما لو رأیت الجنب یمسّ آیة الکرسی مثلاً فقلت له لا یمسَّن آیات القرآن محدث، یکون دلیلاً علی حرمة مسّ القرآن علی الجنب مطلقاً. وأمّا منزلة هارون من موسی فیکفی فی بیانها قوله سبحانه حکایة عن موسی: (وَاجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی* هارُونَ أَخِی* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی* وَأَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی).(۱) وقد أُوتی موسی جمیع ذلک کما یقول سبحانه: (قالَ قَدْأُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی) .(۲) ــــــــــــــــ

۱ـطه:۲۹ـ۳۲.

۲ـطه:۳۶. (۷۹) وقد استخلف موسی أخیه هارون عند ذهابه إلی میقات ربّه مع جماعة من قومه، قال سبحانه: (وَقالَ مُوسی لأَخیهِ هارُونَ اخْلُفْنِی فِی قَومِی وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدین).(۱) وهذا الاستخلاف وإن کان فی قضیة خاصّة ووقت خاص، لکن اللفظ

مطلق والمورد لا يكون مخصّصاً. و من هنا لو فرض غيبة أخرى لموسى من قومه مع عدم تنصيصه على استخلاف هارون كان خليفة له بلا إشكال. وهارون و إن كان شريكاً لموسى في النبوّة إلّا أنّ الرئاسة كانت مخصوصة لموسى، فموسى كان وليّاً على هارون وعلى غيره، وهذا دليل على أنّ منزلة الإمامة منفصلة من النبوة، وإنّما اجتمع الأمران لأنبياء مخصوصين، لأنّ هارون لو كان له القيام بأمر الأُمّة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه إلى استخلاف موسى إيّاه وإقامته مقامه.(۲) ________

۱–الأعراف:۱۴۲.

۲–مجمع البيان:۳ـ۴/۴۷۳. (۸۰) ۳.حديث «الغدير» حديث الغدير، ممّا تواترت به السنّة النبويّة وتواصلت حلقات أسانيده منذ عهد الصحابة والتابعين إلى يومنا الحاضر، رواه من الصحابة(۱۱۰) صحابياً ومن التابعين(۸۴) تابعياً، وقد رواه العلماء والمحدّثون في القرون المتلاحقة، وقد أغنانا المؤلّفون في الغدير عن إراءة مصادره ومراجعه، وكفاك في ذلك كتب لمّة كبيرة من أعلام الطائفة، منهم: العلّامة السيد هاشم البحراني (المتوفّى ۱۱۰۷هـ) مؤلّف «غاية المرام»، والسيد مير حامد حسين الهندي (المتوفّى ۱۳۰۶هـ) مؤلّف «العبقات»، والعلّامة الأميني (المتوفّى ۱۳۹۰هـ) مؤلف «الغدير»، والسيد شرف الدين العاملي (المتوفّى ۱۳۸۱هـ) مؤلّف «المراجعات». ومجمل الحديث هو انّ رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أذّن في الناس بالخروج إلى الحجّ في السنة العاشرة من الهجرة، وأقلّ ما قيل انّه خرج معه تسعون ألفاً، فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ووصل إلى غدير «خم»، وذلك يوم الخميس، (۸۱) الثامن عشر من ذي الحجّة ، نزل جبرئيل الأمين عن اللّه تعالى بقوله: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) .(۱) فأمر رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أن يردّ من تقدّم، ويحبس من تأخّر حتى إذا أخذ القوم منازلهم نودي بالصلاة، صلاة الظهر، فصلّى بالناس، ثمّ قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، وبعد الحمد والثناء على اللّه سبحانه وأخذ الإقرار من الحاضرين بالتوحيد والنبوّة والمعاد، والإيصاء بالثقلين، وبيان انّ الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤى بياض إبطيهما وعرفه القوم أجمعون، ثمّ قال: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه ـ يقولها ثلاث مرّات ـ». ثمّ دعا لمن والاه، وعلى من عاداه، وقال: «ألا ـ فليبلّغ الشاهد الغائب». ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحي اللّه بقوله: (الْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

____

۱–المائدة: ۶۷ . (۸۲) نِعْمَتي)(۱) الآية. فقال رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : «اللّه أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي والولاية لعليّ من بعدي». ثمّ أخذ الناس يهنّئون عليّاً، وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة الشيخان أبوبكر وعمر كلّ يقول: «بَخٍّ بَخٍّ، لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة». دلالة الحديث إنّ دلالة الحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ دلالة واضحة، لم يشكّ فيها أيّ عربي صميم عصر نزول الحديث وبعده إلى قرون، ولم يفهموا من لفظة المولى إلاّ ـ الإمامة. إنّ هناك قرائن حالية ومقالية تجعل الحديث كالنّص في أنّ المراد من المولى هو الأولى بالتصرّف في شؤون المؤمنين على ________

۱–المائدة: ۳. (۸۳)

غرار ما كان للنبي ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من الولاية. أمّا القرينة الحالية (المقامية) فيكفينا في بيانها ما ذكره التفتازاني بقوله: «المولى قد يراد به المعتِق والمعتَق والحليف، والجار، وابن العمّ، والناصر، والأولى بالتصرّف، وينبغي أن يكون المراد به في الحديث هو هذا المعنى، ليطابق صدر الحديث، ولأنّه لا وجه للخمسة الأُول وهو ظاهر، ولا للسادس لظهوره، وعدم احتياجه إلى البيان وجمع الناس لأجله». ثمّ قال: «لا ـ خفاء في أنّ الولاية بالناس، والتولّي والمالكية لتدبير أمرهم والتصرّف فيهم بمنزلة النبي، وهو معنى الإمامة».(۱) ________

۱–شرح المقاصد:۵/۲۷۳ـ۲۷۴.ولكنّه رمى الحديث بعدم التواتر فلم يأخذ به في المقام حيث إنّ مسألة الإمامة ليست من الفروع عند الإماميّة.

أقول: لكنّها من مسائل الفروع عنـدهم، فعلى فرض صـحّة الروايـة تكون حجّـة وإن لم تكن متواترة عنده. (٨۴) وأمّا القرائن المقالية فمتعدّدة نشـير إلى بعضها: القرينة الأُولى: صدر الحديث وهو قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ : «ألست أولى بكم من أنفسكم». أو ما يؤدّى مؤدّاه من ألفاظ متقاربة، ثمّ فرَّع على ذلك قوله: «فمـن كنـت مـولاه فعليّ مـولاه» وقد روى هذا الصدر من حفّاظ أهل السنّة ما يربو على أربعـة وستين عالمـاً.(١) القرينـة الثانيـة: نعى النبيّ نفسـه إلى النـاس حيث إنّه يعرب عن أنّه سـوف يرحـل من بين أظهرهم فيحصل بعـده فراغ هائل، وانّه يُسدّ بتنصـيب على ـ عليه السَّلام ـ فى مقام الولاية. وغير ذلك من القرائن التى استقصاها شـيخنا المتتبع فى غديره.(٢) ــــــــــــــ

١–لاحظ نقولهم فى كتاب الغدير، ج١، موزَّعين حسب قرونهم.

٢–المصدر السابق: ٣٧٠ـ٣٨٣. (٨۵) لماذا أعرض الصحابة عن مدلول حديث الغدير؟ أقوى مستمسك لمن يريد التخلّص من الأخذ بالنصّ المتواتر الجليّ فى المقام، هو انّه لو كان الأمر كـذلك فلماذا لم تأخـذه الصحابة مقياساً بعد النبى؟ وليس من الصـحيح إجماع الصـحابة وجمهور الأُمّـة على ردّ مـا بلَّغه النبيّ فى ذلـك المحتشـد العظيم. والجواب عنه انّ من رجع إلى تاريـخ الصـحابة يرى لهـذه الأُمور نظائر كثيرة فى حياتهم السياسـية، وليكن ترك العمل بحـديث الغـدير من هذا القبيل، منها «رزيّة يوم الخميس» رواها الشـيخان وغيرهما(١)، ومنها سريّة أُسامة(٢)، و منها صلح الحديبية واعتراض لفيف من الصحابة(٣)، ــــــــــــــ

١–أخرجه البخـارى فى غير مورد لاحـظ ج١، باب كتابـة العلم، الحديث ٣، وج ۴/٧٠ وج ۶/١٠ من النسـخة المطبوعة سنة ١٣١۴هـ ;و الإمام أحمد فى مسنده :١/٣۵۵.

٢–طبقات ابن سعد:٢/١٨٩ـ١٩٢ ;الملل والنحل للشهرستانى:١/٢٣.

٣–صحيح البخارى: ٢/٨١، كتاب الشروط ;صحيح مسلم:۵/١٧۵، باب صلح الحديبية ; والطبقات الكبرى لابن سعد:٢/١١۴. (٨۶) ولسـنا بصدد استقصاء مخالفات القوم لنصوص النبى وتعليماته، فإنّ المخالفة لا تقتصر على ما ذكر، بل تربو على نيّف وسبعين مورداً، استقصاها بعض الأعلام.(١) وعلى ضوء ذلك لا يكون ترك العمل بحـديث الغـدير، من أكثريّـة الصـحابة دليلاً على عـدم تواتره، أو عدم تماميّة دلالته. ــــــــــــــ

١–لاحظ كتاب النص والاجتهاد للسيد الإمام شرف الدين. (٨٧)

الفصل السابع

الفصـل السابع السـنّة النبويّـة والأئمّـة الاثنا عشـر إنّ النبيّ الأكرم ـ صـلّى الله عليه وآله وسـلّم ـ لم يكتف بتنصـيب على ـ عليه السَّلام ـ منصب الإمامة و الخلافة، كما لم يكتف بإرجاع الأُمّة الإسـلامية إلى أهل بيته وعترته الطاهرة، ولم يقتصـر على تشبيههم بسـفينة نوح، بل قام ببيان عـدد الأئمّـة الّـذين يتولّون الخلافـة بعده، واحداً بعد واحد، حتّى لا يبقى لمرتاب ريب، فقد روى فى الصـحاح والمسانيد بطرق مختلفة عن جابر بن سـمرة انّ الخلفاء بعد النبيّ اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، وإليك ما ورد فى توصيفهم من الخصوصيات: ١. لا يزال الـدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشـر خليفة. (٨٨) ٢. لا يزال الإسـلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة. ٣. لا يزال الـدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشـر خليفة. ۴. لا يزال الدين ظاهراً على من ناوأه حتى يمضـى من أُمّتى اثنا عشـر خليفة. ۵. لا يزال هـذا الأمـر صالحاً حتى يكون اثنا عشـر أميراً. ۶. لا ـ يزال الناس بخير إلى اثنى عشـر خليفـة.(١) وقـد اختلفت كلمة شـرّاح الحديث فى تعيين هؤلاء الأئمّة، ولا تجد بينها كلمة تشـفى العليل، وتروى الغليل، إلاّ ما نقله الشيخ سليمان البلخى القندوزى الحنفيّ فى ينابيعه عن بعض المحقّقين، قال: «إنّ الأحاديث الدالّـة على كون الخلفاء بعـده اثنى عشـر، قد اشـتهرت من طرق كثيرة، ولا يمكن أن يحمل هذا الحديث ــــــــــــــ

١–راجع صحيح البخارى:٩/٨١، باب الاستخلاف ;صحيح مسلم:۶/٣، كتاب الأمارة، باب الناس تبع لقريش ;مسند أحمد:۵/٨۶ـ١٠٨;

مستدرك الحاكم: ۳/۶۱۸. (۸۹)

على الخلفاء بعده من الصحابة، لقلّتهم عن اثنى عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأُمويّين لزيادتهم على الاثنى عشر ولظلمهم الفاحش إلاّ ـ عمر بن عبد العزيز... ولا ـ يمكن أن يحمل على الملوك العباسيين لزيادتهم على العدد المذكور ولقلّة رعايتهم قوله سبحانه: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى) .(۱) وحديث الكساء، فلابد من أن يحمل على الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته وعترته، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم، وأورعهم ، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند اللّه، وكانت علومهم عن آبائهم متصلة بجدّهم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وبالوراثة اللّدنية، كذا عرّفهم أهل العلم و التحقيق، وأهل الكشف والتوفيق. ويؤيّد هذا المعنى ويرجّحه حديث الثقلين و الأحاديث المتكثّرة المذكورة فى هذا الكتاب وغيرها».(۲) ___________

۱- الشورى:۲۳.

۲-ينابيع المودَّة:۴۴۶، ط استنبول، عام ۱۳۰۲. (۹۰) أقول: الإنسان الحرّ الفارغ عن كلّ رأىّ مسبق، لو أمعن النظر فى هذه الأحاديث وأمعن فى تاريخ الأئمّة الاثنى عشر من ولد الرسول، يقف على أنّ هذه الأحاديث لا تروم غيرهم، فإنّ بعضها يدلّ على أنّ الإسلام لا ينقرض ولا ينقضى حتّى يمضى فى المسلمين اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش ؛وبعضها يدلّ على أنّ عزّة الإسلام إنّما تكون إلى اثنى عشر خليفة ؛وبعضها يدلّ على أنّ الدين قائم إلى قيام السّاعة وإلى ظهور اثنى عشر خليفة، وغير ذلك من العناوين. وهذه الخصوصيات لا توجد فى الأُمّة الإسلامية إلاّ فى الأئمّة الاثنى عشر المعروفين عند الفريقين(۱)، خصوصاً ما يدلّ على أنّ وجود الأئمّة مستمرّ إلى آخر الدهر ومن المعلوم انّ آخر الأئمّة هو المهدىّ المنتظر الذى يعدّ ظهوره من أشراط ___________

۱-وهم: على بن أبى طالب، وابناه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، وعلى بن الحسين السجاد، ومحمّد بن على الباقر، وجعفر بن محمّد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلى بن موسى الرضا، ومحمّد بن على التقى، وعلى بن محمّد النقى، والحسن بن على العسكرى، وحجّة العصر المهدى المنتظر ـ صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين ـ (۹۱)

الساعة. ثمّ إنّه قد تضافرت النصوص فى تنصيص الإمام السابق على الإمام اللاحق، فمن أراد الوقوف على هذه النصوص، فليرجع إلى الكتب المؤلّفة فى هذا الموضوع.(۱) تمّت الرسالة بيد مؤلّفها جعفر السبحانى الراجى من اللّه عفوه وغفرانه له ولوالديه ولمن وجب له عليه حقّ والحمد للّه الذى بنعمته تتم الصالحات ___________

۱-لاحظ الكافى:ج۱، كتاب الحجّة ؛كفاية الأثر، لعلى بن محمد بن الحسن الخزاز القمى من علماء القرن الرابع ؛إثبات الهداة للشيخ الحرّ العاملى، وهو أجمع كتاب فى هذا الموضوع.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله " الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز " القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة)

تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّـة و طلاـب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّـافعـة – مکـانَ البَلا-تیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلّاب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩